قصة الحضارة

ول وايريل ديورانت

النهضة

ترجمة
محمد بدران

الجزء الأول من المجلد الخامس

١٨

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم
جامعة الدول العربية
تونس

دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع
DAR AL JIL - EDITEUR DISTRIBUTEUR
بيروت

الفهـــرس

الكتـــاب الأول

تمهيـــد

الباب الأول — عصر بترارك وبوكاتشيو

الباب الثانى — البابوات فى أفنيون

الكتاب الثانى : النهضة الفلورنسية

الباب الثالث — نهضة آل مديتشى

الباب الرابع — العصر الذهبى

فهرس الصور

فهرس الخرائط

مقدمة الترجمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على عظيم نعمه ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى جميع الأنبياء والرسل . وبعد ، فهذا هو الجزء الأول (رقم ١٨) من المجلد الخامس من « قصة الحضارة » ، وهو المجلد الذى يروى هذه القصة الطريفة فى إيطاليا . ولسنا مغالين إذا قلنا إن ذلك العصر أهم العصور كلها من حيث الحضارة . ففيه خرج العالم الغربى من ظلمات العصور الوسطى ، وبه بدأ العصر الحديث ، ومن أجل هذا خصه المؤلف بمجلدين كاملين ، هذا المجلد الذى يروى قصة الحضارة فى إيطاليا خاصة ، ومن حق إيطاليا أن تنفرد فى ذلك العصر بمجلد خاص ، لأنها كانت مهد النهضة الذى نشأت فيه وترعرعت ثم فاضت منه على سائر أوربا . أما قصة النهضة فى غير إيطاليا من العالم – فى أوربا وآسية – فقد رواها المؤلف فى المجلد السادس الذى ظهر فى أواخر العام الماضى والذى شرعنا فى ترجمته .

وسيجد القارئ فى هذا الجزء وفى الأجزاء الثلاثة الأخرى التى سيصدر فيها هذا المجلد الخامس وصفاً رائعاً لمظاهر النهضة الأدبية والفنية والعلمية والمعمارية ، وحديثاً شيقاً عن أعلام هذا العصر ، وإلى جانبه حديث آخر عن أحوال البلاد الإيطالية وحكامها ورجال العلم ، والدين ، والأدب ، والسياسة ، والحرب فيها ، كل ذلك فى لغة شيقة تتخللها بعض الدعابة التى تذهب بالملل فى كثير من الأحيان .

والترجمة صورة دقيقة من الأصل المترجم بلا زيادة ولا نقصان ، فلم نحذف من أقوال المؤلف شيئاً قط ولم نزد عليها إلا بعض تعليقات قليلة

فى هامش الكتاب تفسر عبارة أو تشرح إشارة تاريخية . وقد راعينا فى تعريب الأسماء سـواء منها أسماء المدن أو الأشخاص نطقها بالإيطالية قدر المستطاع بعد أن حققنا هذا النطق بقدر ما وصل إليه جهدنا . ولهذا قد يجد القارئ فيها بعض الخلاف عن الأجزاء السابقة ولكنه خلاف قليل سنتداركه فى تلك الأجزاء عند إعادة طبعها .

ونرجو أن يجد القراء فى هذا المجلد من غزارة العلم وطرافة البحث ما يعوضهم عن طول الوقت الذى يقضونه فى قراءته . فإن وجدوا فسيعوضنا نحن أيضاً ما عانينا من جهد فى ترجمة هذا المجلد الذى يحتوى موضوعات معظمها جديد علينا ، كفنون العمارة والنقش والتصوير والنحت وغيرها من الفنون والعلوم ، وفى البحث عن الاصطلاحات العلمية والفنية التى يزخر بها الكتاب ، ونرجو أن نكون قد وفقنا فى هذا بعض التوفيق إن لم يكن كله .

ولا يفوتنا أن نسجل شكرنا للإدارة الثقافية فى جامعة الدول العربية التى يرجع إليها الفضل فى إخراج هذا الكتاب وللجنة التأليف والترجمة والنشر عنايتها بطبعه ونشره ، وللقراء الكرام فى مصر وسائر البلاد العربية ، الذين كان تشجيعهم حافزاً قوياً لنا على مواصلة هذا الجهد المضنى الطويل .

وفقنا الله إلى أداء واجبنا فى خدمة لغتنا العربية عن طريق الترجمة ، وهو الطريق الذى اخترنا أن نسلكه لخدمتها ، وأعاننا على تذليل ما نلاقيه فيه من صعاب .

أكتوبر سنة ١٩٥٨

محمد بدران

إلى القارئ

هذا المجلد كامل بنفسه مستقل بذاته ، ولكنه هو الجزء الخامس من تاريخ الحضارة الذى كتب على أن يكمل بعضه بعضاً وأن يجمع فى قصة واحدة نواحى النشاط البشرى جميعها . ولقد بدأت هـذه السلسلة فى عام ١٩٣٥ وكان أولها **ما ورثناه من الشرق** — أى تاريخ مصر والشرقين الأدنى والأوسط حتى عام ٣٢٣ ق . م ، وتاريخ الهند والصين واليابان حتى عام ١٩٣٠ . وكان جزؤها الثانى **حياة اليونان** (١٩٣٩) وهو يسجل تاريخ اليونان وثقافتهم من أقدم العصور المعروفة ، وتاريخ الشرقين الأدنى والأوسط من ٣٢٥ ق . م حتى الفتح الرومانى فى عام ١٤٦ . وواصل الجزء الثالث **قيصر والمسيح** (١٩٤٤) رواية قصة الجنس الأبيض حتى عام ٣٢٥ م ، وكان محورها الذى تدور حوله هو نشأة رومة وسقوطها والقرون الأولى من المسيحية . وواصل الجزء الرابع **عصر الإيمان** (١٩٥٠) رواية هذه القصة حتى عام ١٣٠٠ ، ويضم بين طياته الحضارة البيزنطية وحضارات الإسلام واليهودية والعالم المسيحى اللاتينى .

ويهدف هـذا المجلد إلى رسم صورة شاملة موجزة لجميع مناحى الحياة البشرية فى إيطاليا على عهد النهضة — من مولد پترارك فى عام ١٣٠٤ إلى موت تيشيان Titian فى عام ١٥٧٦ . وتشير كلمة النهضة فى هذا المجلد إلى إيطاليا دون غيرها من البلاد ، ولن تستخدم للدلالة على ما حدث من تقدم ونضوج فى فرنسا ، وأسپانيا ، وإنجلترا والأراضى الوطيئة فى خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر إلا ما بعث بعثاً جديداً فى تلك البلاد وكانت أصوله أجنبية عنها ، وحتى فى إيطاليا نفسها تعنى هذه التسمية أكثر ما تعنى بعث الآداب القديمة التى لم يكن لها من الخطر فى إيطاليا

ما كان لتقدم اقتصادياتها وثقافتها حتى بلغت صورتها المميزة لها فى تلك البلاد .

ولقد أردت أن أجتنب التكرار السطحى لما نشر فى هذا الموضوع من كتب قيمة ، فوسعت نطاق البحث إلى أكثر مما ألفه القارئ فى المجلدات السابقة من هذه السلسلة . وكان ممـــا اقتضى هذا التوسع غير هذا السبب أننا كلما اقتربنا من عصرنا الحاضر زاد اهتمامنا بموضوعنا ؛ ذلك أننا نشعر بما يجرى فى دمائنا من حيوية مستمدة من تلك القرون الخطيرة الأحداث التى نشأت فيها أوربا الحديثة ، وبذلك تصبح أفكار تلك القرون ، وحوادثها ، وأشخاصها ، لا غنى عنها لفهم عقولنا وأيامنا . ولقد درست بنفسى كل ما ورد ذكره فى هذا الكتاب من مؤلفات خاصة بالفن إلا القليل منها ، ولكننى تعوزنى الدربة الفنية التى تخولنى حق إصدار أحكام علمها قائمة على البحث والنقد . غير أننى قد أقدمت على التعبير عما أفضله منها وعما انطبع فى ذهنى بعد قراءتها . والآن نرى الفن الحديث يسير فى طريق مضاد للذى سار فيه فن النهضة ، ويحاول جاهداً أن يجد صوراً جديدة للجمال ، ومعانى جميلة للأشياء . وليس لدينا ما نأخذه على هذه النزعة ، لأنه مهما يكن تقديرنا لها ، فإن هذا التقدير يجب ألا يحول بيننا وبين الترحيب بكل محاولة صادقة منظمة يقصد بها محاكاة ما تمتاز به من قوة ابتكار لا ما أسفرت عنه من نتائج .

وفى عزمنا إذا واتتنا الظروف أن نصدر مجلداً سادساً سيكون عنوانه فى الأغلب الأعم **عصر الإصلاح الدينى**(*) بعد ثلاث سنين أو أربع من هذا الوقت ، يشتمل على تاريخ الحضارات المسيحية والإسلامية واليهودية فى خارج إيطاليا مبتدئاً من عام ١٣٠٠ ، وفى إيطاليا نفسها من ١٥٧٦ إلى ١٦٤٨ . ويحسن بنا بعد هـــذا التوسع فى البحث وما نشعر به من آثار الشيخوخة أن نفكر فى أن نختم هذه السلسلة بمجلد سابع نطلق عليه اسم

(*) لقد ظهر هذا المجلد فعلا وبدأنا نترجمه . (المترجم)

عصر العقل يواصل رواية القصة إلى بداية القرن التاسع عشر :

وأرى فرضاً على أن أشكر لمستر چوزف أوسلاندر Joseph Ouslander إذنه لى بأن أنقل هنا ترجمته الجميلة لإحدى أغانى پترارك ، ولمطبعة جامعة كيمبردج إذنها بأن أنقل فقرة بقلم رتشرد جارنت Richard Garnet ، فى المجلد الأول من *تاريخ كيمبردج الحديث* Cambridge Modern History ولزوجتى ما كان لها من اقتراحات وأحاديث أنارت لى السبيل ، وللدكتور إدورد هپكن Edward Hopkin ما قدم لى من معونة فى تصنيف مواد الكتاب ، وللآنسة مارى كوفمان Mary Kaufman والآنسة فلورا كوفمان Flora Kaufman ما قدمتا من معونة كتابية متعددة الأنواع ، والسيدة إدث ديجيت Edith Digatc ما أظهرت من كفاية عظيمة فى كتابه المخطوط على الآلة الكاتبة رغم ما به من صعوبات جمة ، ولولاس بركواى Wallace Brockway خبرته العظيمة فى إخراج الكتاب وما قدم لى فى هـذه الناحية من نصائح سديدة .

وأشكر بعد هذا كله ناشرى هذا الكتاب ، فلقد دلت صلتى الطويلة بهم على أنهم من خير من يستطاع وجودهم من الناشرين ؛ ذلك أنهم لم يضنوا على بأى معونة ، فقد تحملوا معى نفقات البحث ؛ ولم يجعلوا لحساب المكسب أو الخسارة أى أثر فى علاقاتنا . وقد نشروا فى عام ١٩٢٦ كتابى **قصة الفلسفة** وكل ما كانوا يرجونه من وراء نشره ألا تصيبهم من هذا النشر خسارة ، وقد ظلت علاقتنا قائمة سبعة وعشرين عاماً كانت بالنسبة لى صلة موفقة سعيدة :

ملاحظات عن طريقة استخدام هذا الكتاب

١ ـ حذفنا من النص تواريخ مولد الأشخاص ووفاتهم ، ولكننا أثبتناها فى فهرس الأعلام والأماكن .

٢ — الفقرات المكتبوبة بالخط الصغير تعنى الدارسين المتخصصين وحدهم ، وفى وسع القارئ العادى أن يغفلها وهو آمن .

٣ — رأينا عند ذكر الأماكن التى توجد فيها التحف الفنية أن نذكر اسم المدينة للدلالة على أهم معرض للفنون بها مثال ذلك :

مدينة برجامو للدلالة على مجمع كرارا الفنى	برلين للدلالة على متحف قيصر فردريخ بها
بريستشيا للدلالة على پناكوتيكا مارتننجو	تشكاجو للدلالة على معهد الفنون
	دترويت للدلالة على معهد الفنون بها
كليفلند للدلالة على متحف الفنون بها	مدريد « « البرادو
لنيننجراد « « الصومعة بها	ميلان « « معرض بريرا الفنى
لندن « « المعرض القومى	نابلى للدلالة على المتحف القومى
منتوا « « قصر الدوق	
مودينا « « پيناكوتيكا إستنسى	پارما « « المعرض الملكى
نيويورك « « متحف الفن العاصمى	للفنون
	واشنجتن للدلالة على المعرض القومى للفنون
البندقية للدلالة على المجمع العلمى الفنى	

غير أنا قد ميزنا معرضى فلورنس الفنيين العظيمين باسميهما أفيزى Uffizi ، وپتى Pitti وكذلك المعرض البرغى Borghese فى رومة .

لوس أنجليز فى أول ديسمبر سنة ١٩٥٢

ول ديورانت